

النشاط الثقافي في الوطن العربي

من
مرايا
"الأداب"

ولكن ما هو مضمون هذه البرامج المحلية ؟
من المعلوم انه عندما يبت فيلم عربي على القنال ١١ يبت فيلم اميركي على القنال ٥ ، وكليهما من الافلام المنتقاة ، فالافلام العربية قديمة ، وحتى الجديدة منها تخضع لاختلاقيات البورجوازية المنتجة وفيها ، وتدور حول المهندس أو الطبيب ابن العائلة الذي يتزوج رغم ارادة والده الباشا ، والذي سرعان ما يقبل بزوجة ابنه الفقيرة ، أو غرام المليونير ، أو غرام ابن الفلاح بابنة الباشا ، وما شابه ذلك من تركيز على ان مسألة المجتمع مسألة سوء تفاهم بين الطبقات ، وان الطبائع مختلفة .
اما البرامج المحلية ، فانها تصفك ببرامج أبو ملح ، وعنتريات أبو المراحل ولفتة الكسرة .. أو بمقابلة شاربني أبو سليمان ، و « هز بن بيروت في الليل » ، أو الطلوع على المشاهدين ببرامج أسطورية في قالب تاريخي عبر حكايات ألف ليلة وليلة ..
وفي كل هذه البرامج « الأنحة » تحاول البورجوازية فرض نصائحها وأخلاقها التي تخدم قضيتها في معالجة سخيفة وإخراج مسموح ، تقول للمواطن : الدنيا فرص .. وهذا ما كتب لك !

مضمون البرامج الاميركية

١ - الافلام الاميركية التي تستحوذ على ٢٥ بالمئة من البرامج تعرفك على رعاة البقر الحقيقيين ، فكل عائلة اميركية هي عائلة « بونانزا » ، عائلة راقية وديمة لا تلجأ للسرقه وقطع الطرق ...
وانها اعمرت الولايات المتحدة بمشقة وصعوبة بعد أن عبت بها الهنود « الشرسون المتوحشون » ، وان العدالة مضمونة مائة بالمائة .
ب - اما المسلسلات المحترمة ، فعرضها فيه « فائدة » مثيرة .. على القنال ١١ يعرض ما يلي :
١ - جعيم المعركة : ٧ جنود اميركيين افنوا نصف الجيش الالمانى في معارك « بطولية » في أوروبا ولم يمت منهم أحد حتى الان - لهم طول العزة والبقاء .
٢ - كتيبة الرعب : ٦ من المساجين بقيادة ضابط يخترقون خطوط الالمان « الاغبياء » ويبيدونهم ويخدعونهم ببراعة فائقة .
٣ - الفواصة الذرية : رجال فواصة يحاولون الدفاع عن العالم من عبث الشيوعية ومن حيوانات البحر .
٤ - قافلة العربات : قافلة الاميركي الطيب وراعي البقر الذي يدافع عن العدل وعن الضعفاء .
٥ - الرجل الوطواط : الجاسوس الاميركي الفذ ، ابن عم جيمس بوند معظم الجاسوسية الشيوعية .
٦ - غزاة من الفضاء : جبروت الاميركي الذي يقهر رجالا قادمين من الفضاء ليفنوا الانسان .
٧ - جيم وست : عميل المخابرات الاميركية في القرن التاسع عشر وتفوقه الدائم .
اما على القنال ٧ ، فهناك ١٢ مسلسلا :
- البارون ، شرطة الفضاء ، المارك ، بونانزا (الذي يستمر عرضه منذ سنوات) ، بيل وسبستمان (الجاسوس الذي يلاحق الشيوعيين ويحرقهم) ، جت سمات ، مانكس ، شياطين الجو ، سباق مع الموت ، شياطين الصحراء (حيث يعيش البدوي العربي) ، كاستر ، المجهول .
وهي كل هذه المسلسلات يبرز الاميركي الطيب يوميا ، كرجل

لبنان

المنفزيون .. والغزو الثقافي الاميركي !

يتابع المثقفون الواعون فسي لبنان نشاط محطتي التلفزيون العاملتين في بيروت واللتين تقدمان منذ عام ١٩٥٩ برامج كثيرة تثير التساؤل وتطرح على بساط البحث موضوع محاولات الغزو الثقافي الاميركي .
وقد تناولت الصحافة الوطنية بالحديث والنقد برامج هاتين المحطتين وحذرت من السموم التي تنبثها ، كما طالبت أكثر من مرة بتأميمها أو اخضاع برامجها اخضاعا مباشرا للسلطات .
وكتب خلدون الخالد فسي العدد ٤٢٢ من مجلة « الحرية » دراسة مسهبة أراد أن يثبت فيها ان التلفزيون « أداة امبريالية فعالة » وتساءل : « ماذا يقدم تلفزيون لبنان ؟ » ثم أجاب على ذلك بالتحقيق التالي :

اولا : في القنال ١١ وه ذاتي الخلفية الاميركية ، تتوزع البرامج على الشكل التالي وعلى القنال الواحدة :

- مسلسلات اميركية	٢٤ بالمئة
- افلام اميركية	٢٥ بالمئة
- صور متحركة	٨٤٦ بالمئة
- (افلام وثائقية)	٤٤٢ بالمئة

وهذه « الافلام الوثائقية » يقدمها مترجم جونسون الخاص السيد كميل نوفل .. فتكون حصيلة البرامج الاميركية على قنال واحدة « ٦١٤٩ بالمئة » ، أي ١٣٤٥ دقيقة في الاسبوع .
ثانيا : اما البرامج في القنال ٧ الناطقة بالعربية وذات الخلفية الفرنسية وسيكام الصهيونية ، فتتوزع على الشكل التالي :

- مسلسلات اميركية	٣١٤٥ بالمئة
- صور متحركة اميركية	١٠٤٥ بالمئة

أي ما مجموعه ٤٢ بالمئة من البرامج تتوزع ٩٠٠ دقيقة اسبوعيا ..
ومعنى ذلك ان المواطن يتعرض ل ٦٠ ساعة غسل دماغ على القنال ٧ ، و ٩٠ ساعة على القنال ٥ و ١١ شهريا .
اذا كان الغزو الاميركي يتمثل في هذا الحشد ، فماذا عن البرامج المحلية ؟

ان فعالية هذه البرامج الاميركية ستكون مخففة لو ان البرامج المحلية توازيتها .. ولكن من العبث أن ننتظر من مؤسسات أن تقدم مجهودات تتعارض مع مصالحها وأخلاقياتها . ولذلك تبدو البرامج الاميركية كخشبة نجاة للفريق التلفزيوني في هرطقة البرامج المحلية .
اولا : على القنال ٥ و ١١ تستحوذ البرامج المحلية هذه النسب :

- افلام عربية	٢٤ بالمئة
- برامج محلية	٢٠ بالمئة
- اطفال	١٤٩ بالمئة

ثانيا : برامج القنال ٧ :

- افلام عربية	١٤٤٢ بالمئة
- برامج محلية	٢٢ بالمئة
- اطفال	١٤١ بالمئة

التلفزيون والعائلة

في أبحاث العلماء حول التلفزيون نتائج تصل الى ان التلفزيون يحيل حياة العائلة الى حياة آلية ، حيث يقضي على كل تفكير بالواقع ومشاكله ، ويمنع الاحتكاك الاجتماعي ويقضي على المطالعة ليربط الاسرة كصنم في معبد الاله الذي يتحرك ويتكلم ، خاصة ان الطبقات الوسطى والفقيرة هي الزبون الرئيسي للتلفزيون ، التي تلجا لسه لسه الفراغ والذي يقدم لها تطلعات وأفكار بورجوازية مع منتجات متفوقة ، فعوض أن تنتقل الاسرة الى « حفلة كوكتيل » تنتقل الحفلة الى البيت !

وبعد ، لم نتكلم عن الاخبار وكيف تصاغ ، وكيف يتم الدس والتركي ، ولم نتكلم عن محور الكون شاه ايران الذي يعرض تنويجه في برنامج لمدة ساعة ونصف !

ويبقى السؤال الاخير : بعد هذا الحشد الاميركي الهائل الذي تدبره اقسام العلاقات العامة التي من مهمتها الافراء السري الداخلي أو ما يسمى بتحويل شعور الناس ودعوتهم الى التعامل معك والثقة بك .. بعد هذا ماذا بقي من التلفزيون اللبناني .. الا الاسم !؟

مشكلات الطلبة العرب في المانيا الغربية

بقلم : بسام طيبي

من الموضوعات التي تستحق اهتمام الباحث العلمي العربي الملتزم بالثورة قضايا الطلبة العرب في الخارج . وللأسف لم يكن هذا الموضوع حتى الآن - حسب معرفتي - مجالاً للبحث العلمي ، للكشف عن مشكلات الطلبة العرب في الخارج وإيجاد الوسائل والحلول للتغلب على هذه المشكلات .

وقد افتقدت بشكل خاص الابحاث التجريبية حول وضع الطلبة العرب في الخارج ، هذا الى جانب الاحصائيات الضرورية ، لذلك كان علي أن اعتمد في هذا البحث على مراقباتي الشخصية أثناء السنوات الطويلة التي قضيتها في أوروبا ، وكلي أمل أن يساعد كتاب آخرون ، ممن درسوا في الخارج ، على تطوير هذا البحث ونقده علمياً للوصول الى نتائج أفضل . وفي هذا البحث سوف اركز على وضع الطلبة العرب في ألمانيا الغربية فقط ، حيث أمضيت أعواماً دراسية ، ولن أتطرق الى الدول الاخرى التي زرتها لان ملاحظاتي بنيت بخصوص الدول الأوروبية الاخرى ، بسبب قصر الفترة التي قضيتها بها ، سطحية ، لذلك ادها جانباً :

أ - الأسباب التي تدعو الطلبة العرب للذهاب الى المانيا الغربية :

قبل الخوض في غمار البحث لا بد من تحليل نوعية الفئات العديدة من الطلبة العرب في المانيا الغربية ، وهذه النوعية ترتبط بشكل وثيق بالاسباب التي دعت هؤلاء الطلبة للدراسة في غرب المانيا . وحسب مراقباتي فهناك خمس فئات من الطلبة العرب :

اولاً : يوجد عدد كبير من الطلبة العرب في المانيا الغربية لم يحصلوا على درجات جيدة فسي فحوص البكالوريا فكانت الشهادة الثانوية التي حصلوا عليها لا تؤهلهم للدراسة في الجامعات العربية الوطنية التي تطلب علامات عالية من طلبتها . فكان معظم هؤلاء يذهبون الى المانيا الغربية ، حيث ان الجامعات الالمانية كانت - وحتى لفترة قصيرة نسبياً - لا تطلب بمؤهلات عالية من الطلبة البندنيين . لذلك

ذكي قوي لا يفهم ، مخلص ، يحارب الشيوعية العاتية ، المنفوق على القوى الميتافيزيقية ، الديمقراطية ، اللين ، العنيف مع العدو . هذا الحشد الذكي الهائل من التركيز على الاميركي ماذا يشكل بجانب الدعاية التجارية للمنتجات الاميركية المتفوقة ؟ ان هذا التركيز على الاميركي « السوبرمان » المتفوق على الانسان يشكل محاولة « غسل دماغ » تهدف الى الارهاب الخفي ، والتماثل بمعيشة « السوبرمان » ، إذ ان غسل الدماغ لا يحتاج الى تركيز وتكرار ومنطق منسجم مع نفسه وفي قالب عنيف مشوق مثير . وهذا متوفر جدا في الغزو الاميركي ، لدرجة ان أي مشاهد عالم بما تقصده هذه الافلام وبسخافة « اليانكي » وضعفه ، الا انه أمام مسلسل معين تجده متحازاً لا شعوريا الى جانب البطل الطيب الذي يحاول مسح سقوطه في الفيتنام وحرب ابادته والذي يقدم نفسه على طبق من فضة .

هذا من جهة مضمون أسلسلات الاميركية في تلفزيون لبنان ، ولكن ما هي نتائجها الظاهرة السريعة ؟ سنستعير دراسة من المجتمع الاميركي المنحل لنوضح صورة وائر الاميركي البشع على الشباب المنحرفين .

ففي دراسة معهد البحوث الاجتماعية في نيويورك ، عن اثر البرامج التلفزيونية على انحراف الاحداث ، النتائج التالية :

- ١٠ بالمئة من الفتيان تأثروا بدسائس ومؤامرات ابطال التلفزيون .

- ٤٩ بالمئة أثار بهم التلفزيون حمل البندقية .
- ٢٨ بالمئة علمهم التلفزيون وسائل السرقة .
- ٢١ بالمئة علمهم التلفزيون وسائل تفصيل الشرطة .
- ١٢ بالمئة علمهم التلفزيون طرق الجريمة .
- ٤٥ بالمئة تكونت لديهم فكرة سهولة الحصول على المال بسلا ماء أو تعب .

اما بالنسبة للبنات المنحرفات :

- ٢٥ بالمئة انزلن الى الرذيلة بدافع الافلام المثيرة .
- ٤١ بالمئة ترددن على حفلات صاحبة حمراء كتقليد .
- ٣٨ بالمئة تركن الدراسة لمعيشة حرة طليقة مملوءة بالحلب والمواطف التلفزيونية .

قياساً الى هذا الاثر الرهيب للتلفزيون على الاحداث ، ورغم البرامج المحلية المنحلة ، نجد ان برامج الاطفال يستغرق ٢٠ دقيقة اسبوعياً ، وهو عبارة عن دعايات للمدارس في قالب آغان وتمثيلات للصفار من خلال مذيعة تخفف صوتها ليتناسب مع البرنامج ، بينما المذيعات الاخرى يعن الخضار على الشاشة .

فما الذي سيعلق في ذهن الصفار ، صوت المذيعة المسترجلة ونصائحها .. أم « السوبرمان » الاميركي !؟

من يريد معرفة الجواب ، عليه أن يجمع خمسة اطفال ويفتح لهم سيرة التلفزيون ، وسيجدهم ابطالا اميركيين ان لم ينقسموا الى « نجيب نهر » و « برنس كوهالي » ولكن بدون حلبة مصارعة .

الفيلم الوثائقي الاميركي

اما قمة الدعاية الاميركية في الافلام الوثائقية التي تبث حالاً بعد مسلسل له جمهور كبير ، حيث يقف كميل نوفل مترجم البيت الابيض ليعطيك صورة عن حياة اميركا الراقية ، أو ليقدف لك بسبعة من العرب المتأمركين « العلماء » ليقنعوك برقي معيشتهم وعدالتهم .. واذا كانت في ذهنك احداث مسيرة الزوج والفقراء والنف السذي أحدثته ، طلع عليك كميل نوفل في نفس اليوم بصورة مسيرة حية عن زوج وفقراء استقبلوا في واشنطن حيث يهب الاميركيون لايوانهم وبناء خيم وبيوت لهم ، الابيض مع الاسود .

فان هذه الفئة الاولى تتألف من طلبة البكالوريا ذوي الدرجات السيئة، مما يدل ، غالبا ، على رداءة النوعية العلمية لهؤلاء الطلبة التي تظهر بوضوح لدى دراستهم الجامعية .

ثانيا : والفئة الثانية تتألف من الطلبة الذين يأتون الى المانيا لتوفر العمل فيها مما يمكن الطالب من تمويل دراسته من خلال العمل في وقت الفراغ ، واثناء العطل الجامعية . وهذه الفئة هي اكثر فئات الطلبة العرب في المانيا الغربية عددا .

ثالثا : اما الفئة الثالثة فتتشكل من أبناء العائلات الغنية من الطبقات البرجوازية والافطاعية ، ويأتي هؤلاء الى المانيا لسببين : اولهما رغبة الاسر البرجوازية العربية بالحصول على سمعة جيدة عن طريق جعل أبنائهم يدرسون في أوروبا وثانيهما هو حب هؤلاء الأبناء البرجوازيين للمغامرة بسبب السام الذي تولده حياتهم البرجوازية المملة في انفسهم وخاصة تساعد الاساطير الشائعة في مجتمعنا حول الحياة في أوروبا على تقوية أسس حب المغامرة هذه .

رابعا : طلبة الدكتوراه والتخصص العالي الذين حصلوا على دراساتهم الجامعية في الوطن فيأتون الى الخارج لكتابة رسالة ماجستير او دكتوراه . وهذه الفئة تتألف غالبا من الطلبة المصريين ، خريجي الجامعات المصرية ، الذين يتمتعون بمرجع حكومية عالية .

خامسا : والفئة الاخيرة هي فئة الموفدين من الحكومات العربية للدراسة الجامعية بعد الحصول على الشهادة الثانوية ، وذلك على حساب الدول التابعين لها ، ومعظم هؤلاء الموفدين من العراقيين والسوريين ، والليبيين والسعوديين . اما الجمهورية العربية المتحدة فلا تعطي منحاً للدراسة في الخارج بعد الحصول على الشهادة الثانوية .

ومشكلات الطلبة العرب في المانيا الغربية تنقسم الى نوعين : النوع الاول يخص الغالبية العظمى للطلبة بشكل عام ، على اختلاف تبعية هؤلاء الطلبة للفئات المذكورة اعلاه . اما النوع الثاني فيخصص تقريبا كل فئة لوحدها . لنحلل اولا المشكلات العامة للطلبة العرب في المانيا الغربية التي تؤدي ، الى جانب المشكلات الخاصة ، التي سنذكرها فيما بعد ، الى فشل ما يقارب الـ ٧٠٪ من الطلبة العرب في دراستهم .

ب - المشكلات العامة :

لن نستطيع في هذا التحليل البسيط حصر جميع المشكلات العامة، التي يعانيها الطلبة العرب في الخارج ، لذلك فاني سأنتظر فقط الى اكثرها اهمية وهي التي تسبب فشل الغالبية العظمى من هؤلاء الطلبة في دراستهم .

المشكلة الرئيسية هي الجنس ، وقد يتسم البعض . ولكنني احب ان اؤكد مرة اخرى على ان الجنس هو سبب فشل عدد ضخم من الطلبة العرب في دراستهم .

يأتي الطالب العربي الى أوروبا من مجتمع تسوده التقاليد المحافظة التي تضع ستارا حديديا بين المرأة والرجل . فكلمة المرأة تشير مخيلة هذا الطالب قبل قدومه الى أوروبا بسبب الكبت الجنسي الذي يعانيه .

وفي أوروبا لا يرى الطالب العربي هذه الحدود ، فرغم عدم تحرر المرأة في أوروبا كليا ، فان وضعها لا يمكن مقارنته مع وضع المرأة العربية المكبلة بالاعلال .

لذلك نرى كثيرين من الطلبة العرب في الخارج يسيئون فهم تحرر المرأة ويلاحقون النساء كالحشرات الضارة . وتحل قضية المرأة وقضية الاشباع الجنسي المحل الرئيسي في فكر الطالب فينتج على صفة معظم وقته على الفتيات ، وخاصة الفتيات العاملات اللواتي ينظرن للطلبة نظرة احترام لوضعهم الاجتماعي المرموق في أوروبا ، هذا الى جانب حب الاوروبيات للاشياء الغربية ، مما يجعلهن ينظرن للطالب الاجنبي كشيء جديد يبعد الملل ، الذي يسود المجتمعات الأوروبية .

ويستغل جزء كبير من الطلبة العرب هذه الامور لدرجة - واقولها بصراحة - تبلغ القذارة وتثير الاشمئزاز . فبعض هؤلاء الطلبة يتحدثون للفتيات العاملات عن قصور آباءهم الشامخة ، ليثيروا اعجابهن ، وغير ذلك من الاساطير التي تثير الاشمئزاز .

ان الطالب العربي في أوروبا هو ضحية مجتمعه الرجعي المحافظ الذي يكبت غرائزه ، ويفقده بالجنائز ، وعندما يفلت هذا الطالب من سجنه الاجتماعي يقع فريسة لاغوائه ويفشل في دراسته .

ومما يجدر ذكره ان هذه الاشياء المساوية ليست وفقا على الطلبة العرب في أوروبا ، وانما تصلح لجميع الطلبة القادمين من مجتمعات محافظة من ايرانيين وباكستانيين ... الخ الذين هم - كما بينت اعلاه - ضحية اجتماعية بسبب التربية الجنسية المتزمنة التي يتألفونها في مجتمعاتهم .

والمشكلة ، التي تأتي - في رأيي - بالدرجة الثانية ، هي عقلية المجتمع المتخلف التي يأتي بها الطالب العربي معه الى أوروبا وحتى اولئك الطلاب الذين يريدون ان يكونوا ثوريين لا ينجحون دائما في تغيير تصرفهم وجعله يتناسب مع الثورة الحقيقية . فخلال ملاحظات سنوات عديدة وجدت ان الطلبة العرب لا يتفاعلون مع المجتمع الاوروبي وحضارته وعلمه ، فيبقى تأثير أوروبا عليهم تأثير قشور ، فهم عندما يتفاعلون مع أوروبا ، تراهم يتفاعلون - بالاحرى - مع الحضارة الرأسمالية المنحلة في عصرها الانحطاطي الحالي ، ولكن نجد فقط عددا قليلا منهم يتفاعل مع الفكر الانساني الذي اتى به عصر التنوير من ليسنغ الى فولتير وهيفل وفيخته . الخ .

وفي نطاق هذه العقلية ، التي هي وليدة مجتمع متخلف منحل ، ينقل الطلبة العرب الجو الشرقي الكسول الى أوروبا . فتقريبا في كل مدينة كبيرة جامعية في أوروبا يوجد مقهى معين يرتاده الطلبة العرب ويقضون به - او بالاحرى يقتلون به - معظم اوقاتهم . وخلال زيارتي لمعلم المدن الالمانية وزيارتي الى باريس وجامعات السويد ويوغسلافيا .

دار الشريف للفكر العربي

تقدم لك مكتبة كل بيت
تقدا وبالتقسيم

١ - المجموعة العربية :

٦. مجلدا لفقته اللغة وادابها وتاريخها ودواوين

الشعر لكبار الشعراء ومن ضمنها كتابي

الاغاني ونهاية الارب

٢ - المجموعة الاسلامية :

٤٦ مجلدا للتفسير والفقاه والحديث الشريف

والسيرة النبوية والتاريخ والفتاوى الشرعية

٣ - مجموعة التراث العربي :

٥٧ مجلدا في معاجم اللغة العربية وادابها

وطبقات الشعراء وتاريخ الموسوعات .

اتصل فورا لحجز مجموعتك بالرقيم ٢٩٢٣٨٣

الطريق الجديدة - تجاه المخفر - بيروت

أخ كنت أراقب هذه الظاهرة باهتمام وتتبع الاحاديث التي كانت تجري - في مفاهيم الكسل - لاجد نفسي مجبرا على الاقتناع بأن اناسا كهؤلاء لن يستطيعوا القيام بالثورة ، بل ان ثورتهم - في حالة كونهم ثوريين - ثورية مزودة .

لينين ورفاقه بوخارين ، تروتسكي ، رادك .. الخ امضوا سنوات طويلة في أوروبا ، في المهجر ، ولكنهم كانوا يعدون للثورة ، وان لم يستطيعوا القيام بالعمل الثوري كانوا يقومون بالبحث العلمي وبتمهيق ثغافهم الثورية . كذلك المناضل الفينتماني هوشي منه السذي قضى سنوات طويلة في باريس ، كانت كلها سنوات كفساح وليست سنوات مقاه وأحاديث سخيفة .

ومنازل الطلبة العرب في أوروبا ايضا تشكل تنابعا لحو المفاهي . يجلس الطلبة هنا في جماعات ويشربون الشاي لساعات طويلة ويتحدثون عن آفته الاشياء .

هذا الجو الشرقي المنقول الى أوروبا يمنع الطالب العربي من التغلب على الجو المتخلف الذي نشأ به ، وهكذا فجو الحياة الجامعية في مجتمع متقدم جدا يبقى غريبا عليه مما يسبب له صعوبات كبيرة في الدراسة ، لا يستطيع التغلب عليها فسي معظم الاوقات فيفشل فسي دراسته .

وفي جامعات ألمانيا الغربية يسيطر نظام جامعي يسمى نظام « الحرية الاكاديمية » ويصلح هذا النظام لجميع الفروع ما عدا الطب والهندسة . خلاصة هذا النظام هو ان للطلاب الحرية المطلقة في اختيار المحاضرات والندوات التي يرغب الاشتراك بها . ولا توجد فحوص في جامعات ألمانيا الغربية اثناء الدراسة ما عدا الرسائل الجامعية التي على الطالب ان يقدمها من حين لآخر . والفحوص هي فقط في آخر اعوام الدراسة حيث يفحص الطالب في مواد الدراسة الجامعية بأكملها . اما الدراسة بعد ذاتها فتتخلص في تدريب الطلبة على البحث العلمي من طريق كتابة الرسائل الجامعية وليس عن طريق حفظ الكتب عن ظهر قلب ، كما هو عليه في جامعاتنا العربية المتخلفة . وهذه « الحرية الاكاديمية » تسبب فشل معظم الطلبة العرب ، اولا لعدم اعتيادهم على العمل العلمي المستقل دون نظام المراقبة عن طريق الفحوص في نهاية كل عام مثل نظام الجامعات العربية وثانيا تقري هذه الحرية بالتراخي ، فمنذ لا توجد فحوص لا يرى الطالب رادعا يجعله ينكب على الدراسة فيقضي اوقاته في المقاهي ودور الكسل .

هذا الجو المنعزل الذي يعيشه الطلبة العرب يقودهم الى مشكلة أخرى وهي عدم تمكنهم من اللغة الألمانية ، التي هي اصعب اللغات الأوروبية ، فقرأ عددا كبيرا منهم يتحدث الألمانية بشكل رديء جدا ، ومن يجيد الألمانية بشكل جيد ، فهو يجيد الألمانية التي تستعمل في اللغة اليومية وليست اللغة الألمانية العلمية الجامعية . لذلك فان معظم الطلبة العرب لا يستطيعون متابعة المحاضرات وفهمها لغويا .

هذه هي المشكلات الرئيسية العامة للطلبة العرب في ألمانيا بشكل فح وبمبسط . وانتقل الآن الى معالجة المشكلات الرئيسية الخاصة التي تخص كل فئة خاصة من الفئات الخمس للطلبة العرب في أوروبا - وفي ألمانيا بشكل خاص ، والتي ذكرتها اعلاه بشكل موجز .

ج - المشكلات الخاصة بكل فئة :

الفئة الاولى التي ذكرتها في مطلع البحث هي فئة الذين ينهبون الى ألمانيا للدراسة لعدم قبولهم في الجامعات العربية لرداءة مصدلات درجاتهم في الشهادة الثانوية .

ويجب هنا ان نفرق بين فئتين : الاولى وتشكل من الذين حصلوا على علامات رديئة في الثانوية لاسباب عارضة كالاضطراب اثناء الفحوص وما شابه ذلك ، او بسبب طريقة الفحوص في بلادنا التي تتطلب الحفظ عن ظهر قلب وعدم تفهم النصوص . اما الفئة الثانية فتتشكل من اولئك الذين حصلوا على علامات رديئة في الشهادة الثانوية بسبب انخفاض

مستوى ذكائهم او لسوء كفاءتهم العلمية بشكل عام لاسباب عديدة مختلفة يصعب ذكرها هنا ، لضيق المجال .

نرى ان افراد الفئة الاولى ينجحون في دراستهم ، ان هم جدوا وتجاوزوا العقبة المتخلفة لمجتمعهم وأنسجموا مع الحياة الجامعية العلمية في بلد متقدم . اما افراد الفئة الثانية فيحالفهم الفشل دائما لعدم تملكهم الكفاءات اللازمة التي تؤهلهم للدراسة الجامعية ولا حتى في الجامعات العربية بمستواها المنخفض .

وانتقل الآن الى الفئة الثانية المذكورة في مطلع البحث اي فئة الطلبة الذين يأتون للعمل والدراسة في نفس الوقت . ومما يؤسف عليه ان معظم افراد هذه الفئة يتحولون الى عمال ويقضون حياتهم كعمال ولا يعودون الى الوطن ، بسبب خجلهم من اقربائهم وذويهم الذين يتوقعون منهم الكثير .

فالدراسة الجامعية في ألمانيا الغربية تتطلب التفرغ الكامل لصعوبتها ومتطلباتها الكثيرة ، وعلى من يريد العمل والدراسة معا ان يحمل طاقة جبارة وعليه النقص المطلق . وانا اعرف عددا من الطلبة العرب ممن نجحوا في هذا ولكن بعد عناء طويل وعددهم قليل جدا . اما الآخرون الذين يعجزون عن ذلك فينتوقفون عن الدراسة ويصبحون - رسميا - عمالا او مستخدمين ويحقدون على الالمان ويجعلون ألمانيا مسؤولة عن فشلهم . والحالة النفسية لهذه الفئة تثير الاشفاق حقا . فهم يرغبون في العودة الى الوطن ولكن المجتمع العربي وتقاليده يقف حاجزا في وجه عودتهم ، ان الطالب الفاشل الذي سيعود للوطن سيكون - حسب تقاليدنا التافهة - معرضا للهزاء وللاحتقار . فيضطر هؤلاء للبقاء في ألمانيا مكرهين ويقضون حياتهم - كما لاحظت - في الامراض النفسية والتعقيدات .

اما الفئة الثالثة التي تشكل من ابناء العائلات الموسرة البرجوازية الذين يأتون الى أوروبا رغبة في المفامرة وبسبب الاساطير والخرافات التي سمعوها عن أوروبا ، فمصير افرادها يختلف من حين لآخر . البعض ينزل في المجتمع الرأسمالي الأوروبي المنحط ويبالغ في حياته البرجوازية فلا يبقى للدراسة وقت ، والبعض الاخر يتغلب على المفاهيم البرجوازية المنحطة فينكب على الدراسة وينجح بها . ويوجد بعض البرجوازيين الذين يتمسكون بالمفاهيم البرجوازية التي أتت قبل عصر انحطاط البرجوازية مثل حب الثقافة من اجل الثقافة وما شابه ذلك فلا ينسابون مع الانحطاط الذي وصلت اليه البرجوازية فسي عصرها الحالي فيتابعون الدراسة الى النجاح .

اما الفئة الرابعة فهي فئة طلبة الدكتوراه والشهادات الجامعية الاخرى مثل الماجستير ، الذين درسوا في الجامعات الوطنية وجاءوا للتخصص . وجزء كبير من هؤلاء يأتي من الجمهورية العربية المتحدة ممن يحملون منحة جامعية عالية تمكنهم من الحياة الجيدة والتفرغ التام للدراسة .

ولكن هؤلاء الطلبة يعانون مشكلة عويصة ليسوا هم سببها وانما النظام الجامعي السائد في الجامعات التي درسوا بها . فلقد قمت سابقا بتحليل دور الجامعة في الوطن العربي (انظر : ملاحظات حول الكتابة العربية الحديثة . « الحرية » السنة التاسعة عدد ٤٨ - فصل الجامعة والكتابة) وبينت ان الجامعة الوطنية في البلدان العربية لاتعلم طلابها البحث العلمي وانما حفظ الكتب عن ظهر قلب . ووصلت في نهاية تحليلي الى ان الجامعة في بلادنا « جامعة فحوص » وليست « جامعة بحث علمي » . وهنا بالذات ترقد مشكلة طلبة الدكتوراه الذين درسوا في الوطن .

فمن المعروف ان رسالة الدكتوراه تتطلب جهندا علميا ضخما لا يقوى عليه الا من تعلم ومارس البحث العلمي قبل ذلك . لذلك يجسد طلبة الدكتوراه صعوبات بالغة لعدم تمرسهم في البحث العلمي ، هذا الى جانب صعوبات اللغة التي يجب ان يتعلموها من جديد .

وكثيرون من هؤلاء الطلبة يعودون الى الوطن دون الحصول على درجة الدكتوراه التي جاؤوا من اجلها . ومن يحصل على درجة

الدكتوراه يمضي ما يزيد على الخمس سنوات من العمل المضني والجهد الكبير ، بينما يحصل الطلبة الاثان على درجة الدكتوراه بعد كتابة الرسالة الخاصة بذلك لمدة لا تزيد غالباً على سنتين .

والفئة الخامسة تتألف من طلبة المنح الدراسية التي حصل عليها اصحابها بسبب درجاتهم الجيدة فسي الشهادة الثانوية ومعظمهم عراقيون وسوريون وليبيون وسعوديون . وهذه الفئة هي من انجح فئات الطلبة العرب حيث ان معظم افرادها ينهون دراستهم بنجاح - بعكس الطلبة الآخرين - ما عدا الطلبة السعوديين الذين هم غالباً من العائلات الملكية والافطاعية الذين لا يدرسون مطلقاً . ففي جامعة فرانكفورت مثلا لم يتخرج أي طالب سعودي حتى الآن منذ تاسيس الجامعة رغم توافر عدد الطلبة السعوديين في هذه الجامعة .

د - ملاحظات ختامية :

رغم الطبيعة الفجة والتبسيطية لهذا البحث فاني اعتقد بصحته لانه يرتكز على مراقبات شخصية دامت سنوات عديدة . وآمل ان تقول الجهات المختصة في وزارات التربية والتعليم العربية بمناقشة ما ورد في هذا البحث وآمل كثيرا ان لا يكون مصير هذا البحث النسيان مثل مصير معظم المؤلفات العربية . وانا لم اكتب هذا البحث الا لوضعها للنقاش .

ان اقتراحي - بناء على هذا البحث - تلخص بما يلي :

١ - التغيير الشامل للنظام المدرسي في الدول العربية التقدمية - والتي هي قادرة على هذا - وذلك عن طريق ادخال البحث العلمي حتى الى المدارس الاعدادية والثانوية وذلك عن طريق تمرين هؤلاء التلاميذ على كتابة ابحاث علمية بسيطة - مثل ما يحدث في المدارس الالمانية - كذلك على تعليم هؤلاء التلاميذ على كيفية الرجوع الى المصادر العلمية والبحث عنها وكيفية التصرف بها والفاء طرق الحفظ عن ظهر قلب وتعوئضها بطرق فهم النصوص ومناقشتها لتعليم التلاميذ الصغار على التفكير عوضا عن الالاتكير الذي يسببه الحفظ البصم . ان هذا سيجعل هؤلاء التلاميذ قادرين على تحمل اعباء الدراسة الجامعية التي تقوم على البحث العلمي .

٢ - تغيير الانظمة الجامعية الحالية في البلدان العربية وادخال نظام الندوات ، الذي يقوم على الاسس التالية :

- البحث العلمي عن طريق القيام برسائل جامعية قصيرة .
- مناقشة النصوص العلمية في نطاق السيمينار عن طريق العودة الى التفسيرات العلمية العديدة لهذه النصوص وتطويرها .
- الغاء نظام الفحوص الحالي الذي يقوم على الحفظ عن ظهر قلب .
الى جانب هذا يجب ان يجبر الاساتذة الجامعيون - كما هو الحال في الدول المتقدمة - على القيام بالبحث العلمي باستمرار السى جانب التدريس . والاستاذ الجامعي الذي لا يقوم بالبحث العلمي يجب ان يعاني نقصا في راتبه وما شابه ذلك للقضاء على عقلية كسل الاستاذ الجامعي في بلادنا .

٣ - ان تغيير نظام الجامعات السائد في بلادنا وانشاء مراكز البحث العلمي سوف يشجع العلماء العرب في الخارج على العودة الى الوطن للمساعدة على القيام في النهضة العلمية . هذا مما سيساعد على التقايل من عدد الطلبة الذين يدرسون في الخارج بسبب توسيع وتحسين جامعاتنا .

٤ - وبالتالي تشديد شروط الدراسة في الخارج لان معظم هؤلاء لا ينهون دراستهم ، من الذين ينهبون للدراسة في الخارج . ويجب جعل الدراسة في الخارج وفقا على طلبة الشهادات العليا ، على شرط ان يتقنوا لغة الدولة التي سيدرسون بها الى جانب ابراز كفاءاتهم بالبحث العلمي قبل السفر الى الخارج .

٥ - تقوم الدول التقدمية كالصين وكوبا بجلب الاساتذة الجامعيين من فرنسا وغيرها من الدول للتدريس في جامعاتها فلا يحتاج طلبة هذه

الدول السفر الى الخارج للدراسة . وعلى الدول العربية اتباع هذا السبيل ، فمن طريقه يمكن نقل حسنات الجامعات الاوروبية الى بلادنا دون نقل طلبتنا الى هذه الجامعات الاوروبية .

وأحب ان اشير في ختام بعثي الى ان مشكلات الطلبة العرب في الخارج مشكلات اجتماعية لها اسسها فسي المجتمع العربي التقليدي وادبيولوجيته المتخلفة . ولا يمكن القضاء على هذه المشكلات على اسس فردية - بشكل عام - دون القضاء على الجذور الاجتماعية المتخلفة لمجتمعنا العربي .

فما دام النظام المدرسي بشكله الحالي وما دامت جامعاتنا الوطنية تميررا عن التخلف بكونها مركزا للفحوص وليس للبحث العلمي ، وما دام مجتمعنا العربي يقوم على الطقوس والشعائر والخرافات وليس على العلم والتكنولوجيا الحديثة . . . الخ ما دامت هذه الاحوال وكل ما يترابط معها سائدة في مجتمعنا فان مشاكل الطلبة العرب في الخارج سوف تكون نفسها كمشاكل الوطن ، اي امتدادا لجميع الامراض الاجتماعية في المجتمع العربي التخلف ، ولكن هذا الامتداد هو بشكل مجسم لوجوده في قلب مجتمع متقدم جدا يقوم على العلم الحديث .

بسام طيبي

فرانكفورت

السودان

رسالة من : حسب الله الحاج يوسف
عن الجديد في الشعر والقصة

في لقاء مع الاستاذ عبد الله حامد الامين ، رئيس الندوة الادبية بام درمان ، تطرق الحديث الى مناح كثيرة في هوموم الادب السوداني والعقبات التي تقف في طريقه ، وخصوصا الجديد في الشعر والقصة وفي ما يلي حصاد ذلك اللقاء الخصب :

الشعر السوداني الحديث جزء لا يتجزأ من الشعر العربي الحديث ، يتأثر بمؤثراته ، ويمشي خطواته ، ولا ينقسم عنه اطلاقا - والشعر السوداني الحديث - كما يقول الاستاذ عبد الله - كانت بدايته الموقفة في اوائل الخمسينات لدى صفوة من الشباب السوداني كانت تتعلم ، او تتلقى العلم في جامعات مصر ومعاهدها حيث ظهر الرواد الاول لهذا اللون الادبي الجديد وعلى راس هؤلاء الفتيان : (الفيثوري) ، و (جيلي) و (تاج السر) و (فارس) . وفي السودان كان هناك صلاح احمد ابراهيم ، ومبارك حسن خليفة و (كجراي) وآخرون . ونما هذا الشعر على ارض من الواقعية الاشتراكية بالذات ، حيث كان اكثر رواده من الشباب الاشتراكيين ، فتأثر بعضهم مثل تاج السر الحسن وصلاح وفارس في بدايتهم بالشاعر كمال عبد الحليم ، ثم مسن بعده بالبياتي ، والسياب ، وكاظم جواد ، وشوقي بغدادي وآخرين لا يتسع المجال لذكرهم . وفي مقابل هذه المدرسة الجديدة ظلت حركة الشعر في تدرجها الطبيعي في داخل السودان تمثل مختلف العناصر والاتجاهات ، واكثرها عناصر تقليدية وعلى راسها كان الثلاثي الكبير : البنا ، والعباسي ، وعبد الله عبد الرحمن . ولكن هذا الاتجاه التقليدي كان على وشك الاحتضار عندما ظهرت المدرسة الجديدة ، غير ان هناك اتجاهات اخرى ظلت تنازح بين بين وتهتم كثيرا بالجزالة وخرافة الاسلوب وتفضل الشكل القديم الى اكبر حد وتميل السى الرومانسية حينما تتحرر . وكان يقف على راس هذا الاتجاه الوسط الشاعر محمد المهدي مجذوب . الذي انضم في فترة لاحقة الى ركب التجديد حيث مارس الكتابة بشعر التفعيلة بمقدرة لا بأس بها مع اصراره على الجزالة والاصالة في العبارة والاسلوب .

اما الانتاج الشعري المطبوع من هذه الاتجاهات فمحدود ، وقد مضت سنوات طويلة لم تكن لحركة نشر الشعر فيها أي آثار ظاهرة ،

حتى ظهرت دواوين الشعر الحديث مرة أخرى في الأسواق ، وصرنا نقرأ من جديد لمحمد الفيتوري في مجموعة دواوينه ، ولصلاح احمد ابراهيم في « غصبة الهبياء » وأخيراً لجيلي عبد الرحمن في « الجواد والسيف الكسور » وتاج السر الحسن في « القلب الأخضر » . وهذه الدواوين تمثل بحق تطوراً جديداً في حياة هؤلاء الشعراء فسي خط سيرهم الفكري والسياسي ، وفي أساليبهم الفنية أيضاً . ويمكن أن نقول باختصار ، أن شعرهم جميعاً أصبح أقرب إلى ما يراد للشعر الحديث أن يكون . فقد مضى الزمن الذي كنا نحافظ فيه على أسلوب العبارة التقليدية حتى في القصيدة الجديدة . وكان ذلك تخلفاً فكرياً بدون جدال . وجاء الوقت الذي أصبح فيه أي شاعر من شعرائنا هؤلاء يحاول جاهداً وبجدارة أن يثبت أولاً شخصيته الذاتية المتفردة في لون تفكيره وأسلوب تعبيره ، وأن يؤكد ثانية طول باعه في ميدان تجديد الشعر الحديث وتصفيته وإثبات وجوده ليكون فناً له كيانه الخاص الذي يمثل روح إنساننا العربي المعاصر وجوداً وفكرة .

الفيتوري هجر الخطابة الأولى تماماً . وتمرد حتى على نفسه ، ولم يعد أسير القافية ، ولا الوزن العروضي المقطع على أجزاء تفعيلية . وانطلق بصوت فريد ليصير عن روح إنسانية عميقة الغور ، صوفية الوجدان . وصلاح احمد ابراهيم حاول جاهداً وخرج من أسر العبارة التقليدية التي كانت سائدة في « غابة الإنبوس » - ديوانه الأول ، - لينطلق محطماً كل القيود وعذابه في فنه هو الشكل لا الموضوع ، وقد حاول الهايكو الياباني مجدداً بدون أن يشعر فكرته وحدة البيت العربي القديم ليصير البيت هذه المرة قصيدة مفردة مثل ما يقول :

النيل وخيرات الأرض هناك

ومع ذلك ..

ومع ذلك ..

ولكن صلاحاً يتوقف عند غصبة الهبياء ولا يزيد إذ تستغرقه معارك السياسة والبطولات الشخصية فتصرفه عن مواصلة الخلق والإبداع من أجل شكل فني ومضمون حديث .

أما جيلي عبد الرحمن فقد جدد حقاً في ديوانه الأخير : « الجواد والسيف الكسور » ووقف في مصاف الشعراء العرب المعاصرين . لقد تخلى عن المضمون القديم ، شكلاً ومضموناً وجملة وتفصيلاً ، واقتسرب تماماً إلى الوجودية أكثر وأكثر ، وابتدأ يعيش عذابات الإنسان وضجره ، فاتخذ من ذاته المحترقة المزقة متناً ، وفي ديوانه الأخير هذا يعيش غربته ووحده بأسلوب ينبيء عن شفافية روحية عميقة ، ويؤكد شخصية فنية ممتازة .

غير أن تاج السر الحسن ما يزال صوته القديم يرن في ديوانه الجديد ، ولعل ذلك راجع إلى أن أكثر قصائده في هذا الديوان هي من الفترة القديمة ، ثم أنه هو الوحيد من بين هؤلاء الشعراء الذي استطاع أن يحافظ على اتجاهه الفكري والفني ، ولكنه بدأ في الآونة الأخيرة ، قبل صدور الديوان وبعده ، يتجه إلى مزيد من الانطلاق ليعتد عن النظرة السياسية الحادة ولتعمق الجوانب الإنسانية في الحياة ، وليطور أدواته الفنية حتى تصبح معبرة أكثر عن هذه المضامين الجديدة . وتاج السر أمين على ذلك وجدير وإنما تنتظر منه الكثير .

هؤلاء هم الذين نشرنا أنتاجهم مرة أخرى مؤخراً ، وما يزال في انتظار ديوان محمد المهدي مجنوب (نار المجاذيب) والذي يعتقد أنه سيقلب مفاهيم التقييم للفترة السابقة للشعر السوداني الحديث . هذا ما ننتظره . لأن هذا الشاعر ظل يكتب منذ ربع قرن دون أن تكون له الشهرة الكافية ودون أن يكون موضع دراسة أو تقييم ، مع أنه يعتبر من أشهر الشعراء أصالة . بيد أننا لا نريد أن نسبق الزمن ، فالديوان في المطبعة ، وعندما يخرج يمكن أن نقرأ عنه مقالة ، أو مقالات أخرى ، كما أننا لا بد من أن نشير إلى مجموعة أخرى من الشعراء لم يظهر إنتاجهم مطبوعاً حتى الآن ، ولكنها أصبحت واضحة التأثير في الأدب السوداني . أنها مجموعة من الشباب الذين ظهرنا في أوائل الستينات والذين يتخذ أكثرهم شعر التفعيلة الحر المنسرح وسيلة للتعبير ، وأغلبهم

متأثر بشعر مصر والشام وبيروت والعراق من الشعراء المحدثين ، ونذكر من هؤلاء الشعراء الشباب على سبيل المثال لا حصرًا : محمد المكسي إبراهيم - علي عبد القيوم - النور عثمان - محمد عبد الحي - عبد الله شابو - والآخر هو الوحيد الذي أخرج في وقت وجيز ديوانه الشعري « أغنية لإنسان » . وشعره مثل شعر زملائه الآخرين ، ينأى عن النمط التقليدي تماماً محطماً الإبعاد المنطقية والتقليدية في بناء القصيدة . إذ أن أكثر شعره تداع حر بعبارات تتميز بسرعة انفاسها وقصر خطواتها . وربما تكون تجربة الشاعر هي السبب ، لأنها لم تكتمل بعد أو تبلغ الغاية من النضج . غير أن الطريق ما يزال أمام (شابو) وزملائه الآخرين ، وفيهم من يبذل تجربة ومقدرة مجال لاثراء الأدب السوداني الحديث بالتجديد الذي لا تكبله رواسب بائدة ولا تحد منه عقد نفسية مركبة .

إن الشعر السوداني الحديث بين رواده الأول الذين مضوا في طريق التجديد ، وبين الشباب الجدد هؤلاء ينتظره مستقبل باهر يزخر بالحيوية والشخصية المتميزة ، وبالنكهة المحلية الخاصة في المضمون والتعبير ، مع انطلاق الشاعر فيه إلى أبعاد رحاب الإنسانية المعاصرة ، في الأمها وهمومها ومسراتها وابتهاجاتها .

هناك كلمة قالها الأستاذ الجليل الدكتور احسان عباس حينما كان بجامعة الخرطوم عام ١٩٥٨ : « أصبحت أشك في الدوافع التي تحث بالشعراء في الخرطوم إلى مهاجمة الشعر الحديث . وما هو السر في هذه الحملة على هذا الشعر ؟ أهو صراع بين جيلين ومذاهبين وزمانيين وعقليتين ؟ . ربما .. فان الشعر الحديث على أنه لا يزال غصاً هشاً في السودان ، إلا أنه قد يكون في السنوات المقبلة نذير موت لنوع آخر من الشعر ستتخلى عنه عناصر البقاء .. » *

وعلى ضوء ما تقدم يثبت لنا أن الدكتور احسان عباس - زيادة على أنه سلطة أدبية محترمة في وطننا العربي - فهو بعيد النظر للغاية . غير أن الحرب على الشعر الحديث كانت وما تزال لها سوق رائجة في السودان . ومن أجل ذلك رأينا أن نثير هذه النقطة وهمل لهذه الحملة من تأثير على الشعر الحديث في السودان بعد الآن ؟ الأستاذ عبد الله حامد الأمين يستطرد فيقول :

- إن الحرب على التجديد عموماً بدفها العمق الفكري والجمود العاطفي ، ومثلما تحمل الشعراء الجدد في الوطن العربي كله في بداية محاولاتهم الرائدة حملات المتعصبين العائشين في عهد ثابت بن أوس الأزدي (الشنفرى) والمكعب الضبي ، واضرابهما ، والذين عجزوا عن أن يفرموا عجلة الزمن والتقدم ، كذلك حدث وسيحدث في السودان أكثر مما حدث في بقية الاقطار الشقيقة الأخرى .

صحيح أن هناك هجوماً مركزاً ومفتعلاً على هذا اللون الحديث من الشعر ، وعلى رأس الذين تخصصوا في الهجوم على هذا الشعر في السودان ، الأستاذ عز الدين الأمين المحاضر بالأدب جامعة الخرطوم . والأستاذ عز الدين لم يكتب بما يكتبه وينشره من مقالات وحسب ، بل قد أصدر أكثر من كتاب في الهجوم على الشعر الحديث بقصد تحطيم المحاولات الجادة لانعاش وتطوير هذا اللون من الشعر السوداني الحديث . كما حاول أن ينشئ في مقابل الشعر الحديث نظرية فنية (مبتكرة) زعم أنها تجديد واسماها نظرية (الفن المتجدد) كان هدفها ببساطة هو الحفاظ على أصول كل فن بما اكتسبت عليه من قبل مفاهيمه البدائية والتجديد عن طريق تأكيد هذه الأصول والمفاهيم ، واتباع نهجها وأساليبها بمعنى أنه إن كان للشعر العربي سنة عشر بحراً (خليلياً) على نهج (الفراهيدي) فإن التجديد إذن لا بد أن يتم بإضافة بحر جديدة . وذلك إذا استطننا « اختراع » بحور جديدة . وبدون ذلك لا بد من الاستمرار في تلك الأجناس القديمة .. إذ لا ابتكار ولا خلق ولا تطور ولا تجديد ولا من يحزنون . وكما ترى أنه ليس

من جديد في هذه « السوفسطائية المذبذبة » كما انه ليس هناك مسن نظرية مهضومة يمكن فهمها او ابتلاعها . انما كل ما هنالك مجرد (طرطشة) نابعة من تفكير متعصب تخلفي يقدر عبادة القديم وحسب .

اما الدكتور عبد الله الطيب فبالرغم من حرصه الشديد على دعم الاساليب التقليدية العتيقة البالية في الادب ، ومعارضته لشعر التفعيلة بصفة عامة فربما كان اقل تعصبا من عز الدين الامين لانه حاول ان يكتب بهذه الطريقة (المستحدثة) بعض مسرحياته الشعرية . مؤكدا بصراحة في مقدمة احدى هذه المسرحيات انه لا يرى (غضاضة) فسي استعمال التفعيلة في المسرحية . ولكنه ينكر ذلك في مجال الشعر ، والشعر الفنائي بوجه خاص !

ويستطرد الاستاذ عبد الله الامين قائلا :

وفي ظني ان الهجوم على هذا اللون من الشعر السوداني الحديث من الاكاديميين وغيرهم ، لم يضر قضية الشعر من قريب او بعيد ، بل بالعكس ، لقد جعل اكثر رواد هذا الفن يتبصر موضع اقدامه جيدا ، كما انه فتح مجالات للمناقشات والحوار الجاد بين نقاد الشعر الحديث في ما بينهم ، وبينهم ومعارضيه هذا الشعر مسن السوفسطائيين والمتحذلقين وعشاق التحجر والكوص !

اما عن القصة في السودان فقد شهد هذا العام بداية حركة واسعة في هذا الميدان ، وذلك بعد ان اصاب كتاب القصة ركود مميت مدى سنوات عديدة .

ان بداية الانعاش الذي نقصده قد ظهرت في اهتمام الصحافة المحلية بنشر الاقصوة بشكل ثابت . فما تكاد تخلو مجلة او صحيفة يومية او اسبوعية تهتم ادنى اهتمام بهوم الادب من قصة لكاتب من الكتاب المعروفين او الناشئين . والقصة السودانية وبخاصة القصة القصيرة في هذا الطور بدأت بالفعل تتمرد على شكلها التقليدي لدى مجموعة من الكتاب الشباب . ولعل ابرز نموذج لهذا النوع ظهر في مجموعة « ريش البقاء » ليسى الحلو . ان هذا الكاتب الشاب استطاع ان يحطم البعدين : الزمان والمكان في قصصه القصيرة ، حيث استطاع ان يتعد تماما عن السرد المنطقي الكلاسيكي ، واهمل الحديث اهمالا كبيرا . كما ان رسم الشخصيات لديه لم يعد الا تلمحا . ومن هنا كانت محاولاته مليئة بلحظات التداخي الحر ، وشخصه تتم عن اطراف وجودية .

ربما نأخذ على اسلوبه عدم النضج . وهذه ظاهرة يمكن ان تتلاشى بمرور الزمن والاستمرار والتجربة لدى الكاتب الشاب . وعلى هذا النمط من الاقصوة يكتب بشير الطيب ، وعثمان الحوري ، وآخرون ، بيد انه لم تصدر لاي منهم مجموعة مطبوعة بعد .

وفي الاتجاه الواقعي التقليدي في القصة ما يزال الميدان منفسحا امام نماذج لكتاب مختلفين ، كابي بكر خالد ، وحسن الطاهر زروق والطيب زروق ، والاول قد اصدر هذا العام روايته الثانية « التبغ المر » . واتخذ لها مثلما اتخذ لروايته الاولى « بداية الربيع » مضمونا سياسيا صارخا ، يقترب الى الواقعية الاشتراكية دون ان يتعمقها ، كما ينبغي ذلك ، لان الشخص له يد يتحركون ببساطة وعفوية بدفع خارجي واضح . وتقصصهم الابعاد النفسية والانسانية العميقة . وهذا ما نلمس له اثرا واضحا في بطله قصته « التبغ المر » والتي طلقت زوجها لان تفكيره البروجوازي لا يوافق تفكيرها الاشتراكي الثوري ، وقد يكون هذا اللون من القصة سائدا في مجتمعات اشتراكية عديدة ، ولكنه في بلد كالسودان يبدو حتما كئوس من المفالة الفكرية والامسلاء الفني !

وابو بكر خالد في قصصه القصيرة غيره في رواياته ، فهو هنا يمتلىء بالحياة ويضفي على شخصه كل ابعادهم الانسانية ، ويرسمهم

رسما جيدا متقنا ، خاصة في قصصه الاخيرة التي يستوحى معظمها من بعض قرى السودان وبواديها التي سافر اليها بسبب العمل . اما حسن الطاهر زروق في مجموعته الاخيرة « عبد الصمد وبهية » فقد تعجل الطريق الى النشر . اذ اعد هذه المجموعة على عجل ، وهو بعيد عن البلاد ، ولم يضمها الكثير من قصصه ذات المضمون الاجتماعي المرجو ، والتي ربما كان قد خلقها في الخرطوم . اما هذه المجموعة والتي يسرد كثيرا في قصصها من ذكرياته الخاصة او الحكايات التي سمعها عن انايس ، فلا تمثل تطورا في دنيا القصة السودانية ولا تقدما جديدا .

ولقد اعد الطيب زروق مجموعته الثانية « بئر بلا ماء » للنشر ، وربما ظهرت في وقت قريب ، وقد قدم بعضا منها في الصحف المحلية . ان الطيب يتطور تطورا ملحوظا ، ويمتاز بطموحه الفني للخروج بالشكل في القصة السودانية الى تجارب جديدة ، ووضح هذه المحاولات تبدو في قصته « محاكمة في قارمو » والتي اوجز فيها الحدث ، واحكم السرد في وحدة نفسية لا فكرية ولا منطقية ، وجعل من شخص القصة عن قصد او بدون قصد رموزا انسانية بسيطة وعميقة في الوقت نفسه . وينظر المجتمع الادبي صدور مجموعات اخرى ، وروايات خلال هذا العام . وقد بدأ ذلك فعلا في بيروت حيث تم طبع مجموعة قصصية للطيب صالح ، والطيب صالح روايتي وقصص في منتهى الروعة والتمكن ، وهو أمل كبير لاحداث مفهوم جديد للقصة العربية بعامة ، حيث انه يعكس بمعايشته الصادقة لروح البيئة المحلية الفردية ظاهرة ممتازة وفريدة ، يفيها بأسلوبه الشفاف ولقته الجميلة خصوبة فنية تجعلها اقرب كثيرا الى تناول القارئ العربي والاجنبي ، ومن هنا كان هذا الاهتمام به من النقاد العرب ، والاجانب على السواء .

كما يتوقع خلال هذا العام صدور مجموعة لابي بكر خالد اسمها ، « الريال » ، ومجموعة اخرى لعبد الله علي ابراهيم ، ومجموعة لبشير الطيب ، وهناك فرصة لظهور رواية كبيرة للكاتب السودانية ملكسة الدار محمد .

وثمة دراسات واسعة اخرى حول القصة السودانية ، تنمو وتزدهر باستمرار ، تقضيها اتجاهات اكااديمية في السودان وخارجه . مما يساعد حتما على تقييم حركة القصة عندنا واجلاء معالمها ، وارهاس بمستقبلها . من هذه الدراسات رسالة الماجستير التي اعدتها الشاب مختار عجوبة ، بدار العلوم بالجمهورية العربية المتحدة ، والتي ستقدم في هذا الصيف . كما ان هناك رسالة اخرى ايضا للماجستير بسدا اعدادها الشاعر المعروف جيلي عبد الرحمن لتقديمها الى معهد الآداب بموسكو .

ان هذا الاهتمام الاكاديمي ، مضافا اليه الاهتمام المحلي ، والخارجي العام يؤكد ان القصة السودانية قد ثبتت على اقدامها ، وانها أصبحت تضيف الى التراث العربي الحديث اضافات متميزة واضحة ، كما ان هذا التراث العربي يعني القصة السودانية ويشربها من حيث المفاهيم النقدية ، والانماط الفنية المتطورة ولعل مستقبل القصة من هذا المنطلق ينبت عن تجارب ونماذج جلية النفع لنا وللآخرين .

وعموما فان الامكانيات التي تبدو واضحة الآن في السودان اكثر من ان تحصى في صفحات قليلة ، فهذه القافلة من الشبان الشعراء والنصائمين راحت تنشق عرض الطريق بجرأة وتمرد ، واخذت تحس بدفء الشمس ، فصارت على اهبة ان تنفتح على اغنى ما يكون العطاء .

ان السودان اليوم ، غيره بالامس ، لقد تفتحت فيه مصبات مختلفة فنية وادبية ، وان المرء ليحس ان فيه شيئا يصطبغ في تحرك مستمر ، وهو يدنو من موسم يتحقق فيه الاختيار والعنساد والصدق والنضج وبروز الشخصية .

حسب الله الحاج يوسف

الخرطوم